تقرير السيد ده غرانجه

مفتش فصليات الاساكل الشرقية في القرن الثامن عشر

عرّبها وعلّق حواشيها المؤرخ بطرس غالب

ان الطيّب الاثر الاب انطون رباط البسوعي ، رحمه الله عداد اتعابه في سبيل تاريخ الكنائس الشرقية ، قد نقل من المخطوطات القيّمة ما يرسل على احوال هذه البلاد نوراً وافياً لايضاح ما جرى فيها ، وما كانت عليه اهاليها من بؤس وشقاء وظلم وعدل . وكان الكثير المبرّات الاب لويس شيخو اذن لي ان اطلع على بعض ما لم ينشر حتى اليوم من هذه الآثار ، فوقع نظري على رحلة السيد ده غرانجه مفتش فصليات الاساكل الشرقية الفرنسي . وكان لدي فقرات منها لم أكن اعرف مؤلفها ، فلدى المقابلة بين النسخة والفقرات تأكدت انها كلها للمفتش المذكور ، فكملت هذه بتلك واثرت نشرها مترجمة عن الفرنسية للفائدة ، معلقاً عليها الحواشي اللازمة لفهم ما يذكر من الحوادث . وساتبعها بنبذة اخرى لاحد التسيين ، الذي اتى البلاد بعد السيد ده غرانجه بنحو خمسين سنة ، وذلك تسهيلاً للفائدة .

قضى السيد ده غرانجه نحو عشرة اشهر في بلادنا وجاب اغلب اقطارها ، وبعد ان فرغ من جولته كتب تقريره لوزير البحرية ، لان الفصليات في الاساكل كان مرجعها وزارة البحرية . ولذلك ترى اغلب الوثائق التي تتعلق بالشرق في تلك الايام محفوظة في خزانة تلك الوزارة .

وقد نشرت في كتابي «صديقة ومحاميه» نتفاً من هذا التقرير الذي اترجمه الآن بكامله :

٦ آب ١٧٣٦

سيدي ، بما اني كنت قد زرت في شهري تشرين الاول وتشرين الثاني من السنة المنصرمة ١٧٣٥ القسم الجنوبي من كسروان ، غادرت صيدا في ٢٥ حزيران (من هذه السنة) لازور قسمه الشمالي ، فرجوت من الاب بطرس فرماج اليسوعي ان يأتيني برجل من عينطورا استصحبه دليلاً حتى ارقر استنجار دركي وحصانه مدة وجودي في تلك القرية .

عينطورا قرية صغيرة مؤلفة من ١٥ الى ٢٠ بيتاً بالكثير يحيط بها من جميع جهاتها جبال عالية محروثة جيداً ، ما عدا جهة الغرب فان الجبال فيها اقل ارتفاعاً وهذا ما يجعل النظر الى البحر لطيفاً للغاية . فان البحر لا يبعد عن القرية سوى ساعة ونصف الساعة

وقد بنى فيها الآباء اليسوعيون معبداً صغيراً ، وديراً نظيفاً جداً ،

ومناسباً للاجانب الذين يستقبلون فيه احسن استقبال . وعندهم دير آخر في عمل عال كثيراً لا يبعد الا قليلاً عن الاول ، وحتى الآن لم يكمل بناؤه ، ويطلقون على هذه الدار اسم «المدرسة الاكليريكية» ، واهل البلاد يسمونها «مدرسة» . وفيها ثمانية احداث يتربون فيها وهي تقدم لهم حاجاتهم . ويؤم هذه المدرسة جميع صبيان الثلاث او الاربع القرى المجاورة لعينطورا يأتونها كل يوم صباحاً ويعودون الى بيوتهم مساء .

ومدير المدرسة هو الاب نكي القبرسي الاصل[1] وهو رجل مشهور ، وذو صيت منتشر في البلاد لقداسة سيرته ، باشر بناء المدرسة ، وهو يرجو ان يكمله ولو كان قد امسى طاعناً في السن .

اما الدير فرئيسه الاب هودول ويساعده في خدمته اخ مساعد . ويمكن اعتبار الابوين نكي وهودول من مرسلي الاجيال القديمة . فاني رأيتهما يذهبان كل يوم من قرية الى قرية على بعد ساعتين من عينطورا ، يقضيان فيها النهار بكامله لاستماع الاعترافات وتدريس التعليم المسيحي وذلك بعد ان يحتفل احدهما بالقداس ، ويلقي الآخر الامثولة على التلاميذ . عندئذٍ كانا يضعان خبزةً في جيبها ، ويذهبان مرتديين ثوباً رثاً من قماش ازرق او اسمر ، ومتمنطقين بمنطقة من جلد ، وارجلها عارية[2] .

١) الاب يوحنا نكي ولد في قرية اسوماتوس في قبرس من والدين مارونيين سنة ١٦٦٦ او ١٦٦٧ ، سافر الى رومية مع اخيه فيليبي صحبة الاخ توما من رهبان القدس سنة ١٦٧٦ ، ودخل الرهبانية اليسوعية في ٢٧ تموز سنة ١٦٨٧ ، ورسم كاهناً في ٣٠ ك ١ سنة ١٦٩٢ ونسب الى اقليم رومية . ارسل الى سورية فجال مقاطعة جبل الدروز يعلّم ويبرّف ويبشر وصار نسمة صالحة في النسك والخضوع ، وسمي مدبراً للمدرسة الاكليريكية في عينطورا ورئيساً لها ثم رئيساً للرسالة ، حضر المجمع اللبناني بصفة لاهوتي وتوفي شيخاً من الاعمال الصالحة ، في شهر آب سنة ١٧٤٦ .

اما الاب يوحنا بطرس هودول فلم نعرف عنه سوى انه كان رئيساً للرسالة في عينطورا حين عقد المجمع اللبناني وقد حضره .

٢) مدرسة عينطورا . ان المرسلين اليسوعيين استوطنوا عينطورا سنة ١٦٥٣ ، في عمل اوقفه عليهم الشيخ ابو نوفل نادر الخازن . اما المدرسة الاكليريكية فقد أسسها بعض افاضل الموارنة ، وطلبوا من رئيس الرهبانية اليسوعية العام ان توضع تحت تدبير اليسوعيين ، فاجابهم الى ذلك وعيّن رئيساً لها الاب يوحنا نكي ١٧٢٨ . ومن شروط تلك المدرسة ان يُقبل فيها

كسروان ملجأ جميع الكاثوليكيين المضطهدين في الشرق ، وهذا يُرى فيه عدد كبير من الاديار للرهبان والراهبات . لجميع كنائس هذه الاديرة قبات معلق فيها اجراس . وتقارس الديانة فيه بحرّية كما في فرنسة

واهم دير في تلك المقاطعة ، بعد دير اللويزة ، دير قديم قريب من عجلتون ، يدعى ريفون ، يقيم فيه البطريرك عادةً . وبالقرب منه دير للراهبات عددهن اربعون . ولا يستطيع احد غير المطران الذي يسكن ريفون ان يدخل الدير ليعرفهن[٢] . فوق درعون وتحتها يوجد ايضاً ديران ، احدهما للرهبان ، والآخر للراهبات . الاول يُدعى دير مار يوحنا حراش[٤] . والثاني مار شليطا[٥]

من غير الموارنة تلاميذ يوازون ربع الموارنة وان تجمل مداخيل هذه المدرسة منفردة . واذا وجب نقل المدرسة لقوة قاهرة ، فلا تنقل الى ما وراء حدود سورية ، والى حيث لا يوجد موارنة . واذا قدّر ان يتخلى اليسوعيون عنها فيمكنهم ان يهدوا بها لمن يكلفونه تتميم نيات المحسنين . واذا تعذّر ذلك قامت مقامها مدارس صغيرة ينشئها بطريرك الموارنة في بلاد طائفته على ما يرى . والذي له الفضل الاكبر في انشاء هذه المدرسة هو الاب بطرس مبارك الماروني اليسوعي وغايته تهذيب اكليرس طائفته ، والاكليرس الشرقي عموماً . ولما اخلت الرهبانية اليسوعية بامر البابا ، سلمت المدرسة الى المرسلين الازاريين وكان قد نقل راس مالها الى باريس واستولت عليه الحكومة ، ولذلك كتب الاب شارل برينور رئيس رسالة اليسوعيين في سنة ١٧٦٦ الى الدوق دورليان كفيل المملكة يرجوه ان يخصّص ولو قليلاً من مداخيل تلك الوقفية للمدرسة . وكان في مدرسة عينطورا مخطوطات نقلها سنة ١٧٩٠ الى باريس مسيو كورديه المرسل الازاري بعد ان استلمت جمعيته المدرسة . اما دير عينطورا فقد انشأه مسيو كيسنس ، ومدخول المدرسة كان ١٥٠٠ فرنكاً وقد ضُبطت مع ما ضبط من اموال الرهبانية حين الغائها .

٣) دير سيدة اللويزة بناه الشيخ سلهب الحاقلاني ، وافتتح سنة ١٧٠٧ . والشيخ سلهب ترهب في الرهبانية البلدية الحلبية وفيها مات . وفتحت فيه مدرسة جمعت في وقت من الاوقات نحو ٨٠ تلميذاً .

دير ريفون ، او مدرسة مار سركيس وباخوس ، انشأها القس سليمان مبارك ١٦٥٥ وجعلها لسكنى الرهبان العبّاد ، وقد تحولت مدرسة بامر البطريرك يوسف حبيش سنة ١٨٣١ .

نظن انه يعني دير مار الياس الراس الذي بُنيَ لسكنى الراهبات بامر السماني ، بني نحو سنة ١٧١٢ وسلم الى الرهبان اللبنانيين سنة ١٧٣٦ فخصّصوه للراهبات اللبنانيات .

٤) دير حراش انشأه الاسقف يوسف العاقوري ١٦٤٣ ، وهو الذي صار بطريركاً ، وعقد فيه مجمعاً (١٦٤٤)

٥) دير مار شليطا مقبس جدّد بناءه القس يوحنا محاسب ١٦٣٧ ، سكنه البطاركة

(مقبس) . وبين غوسطا وحريصا دير آخر للرجال يُعرَف بدير الكريم ، اي الكرم الصغير ، وفيه يقيم مطران ارمني مشهور في البلاد بما احتمله من الاضطهاد لاجل الدين . وهذا الاسقف بعد ان خرج من اللبان في الاستانة ، وكان قد قضى فيه عشر سنوات ، اعتزل في المحل المذكور وابتنى ديراً جعل ملجأ لسايري الطريق . ويوجد فيه ثمانية كهنة يأتمرون بامره[٦] .

وعدا هذه الاديار يُبنى الآن دير آخر قرب عينطورا للبنات الحلبيات ، وهو يشيد بنفقة اثنتي عشرة ابنة حلبية تكرّسن للحياة الرهبانية وسيجتمعن فيه متى تمّ البناء ، قانونهنّ قانون راهبات الزيارة[٧] .

ولآباء الاراضي المقدسة (الفرنسيسكان) دير في حريصا يبعد ساعة عن عينطورا من جهة ، وساعة عن غوسطا من جهة اخرى . وللكبوشيين ايضاً دير في غزير[٨] وهناك حقل يوجد فيه حجارة يهودية تعرف باسم دوليف المحجّرة . وللكبوشيين ايضاً دير في عبيه[٩] يبعد ست ساعات عن صيدا ، وعلى بعد

مدة ، وكان فيه مكتبة خطية ذات شأن

٦) دير الكريم المنشأ على اسم المخلص له المجد ، وهب محله لشابين ارمنيين حضرا من حلب الى كسروان سنة ١٧٠٧ ، الشيخ صخر ابن ابي قنصوه المتازن سنة ١٧١٦ . وفيه انشأ رهبانية للارمن تتبع قانون الرهبانية البلدية المارونية . ثم سكنه بطاركة واساقفة الارمن المضطهدون واستمروا فيه حتى وقف الشيخ شرف دهام المتازن محل بزمار . واما دير الكريم فاشتراه المطران يوحنا حبيب لجمعية المرسلين اللبنانيين سنة ١٨٦٥

٧) دير الزيارة أنشئ في عينطورا في السنة التي ذكرها ده غرانجه اي ١٧٣٦ . لكنه لم يكتمل بناؤه الا بعد مدة ، وجرى ذلك بعناية رئيس الرسالة اليسوعية في سورية في ذلك العهد . اشترى محله بمال المحسنين وطالبات الانضواء الى رهبانية القديس فرنسيس سالس . وهب تلك الشن الشيخ موسى طربيه المتازن لقاء دخول ابنته وشقيقته في الرهبانية المذكورة . وقد سمح البطريرك الماروني بذلك شرطاً ان تحفظ الراهبات الطقس الماروني وعاداته ، واما ارشادهن فتولاه مرسل يسوعي الى حين انشاء الرهبانية اليسوعية ، وخلفهم في هذه المهمة المرسلون المتازريون ، واخيراً كرنة . وارنة .

٨) دير مار انطونيوس حريصا بناه الفرنسيسكان في محل وقفه عليهم الشيخ ستو بن فياض المتازن منذ سنة ١٦٨٩ . اما دير مار فرنسيس غزير ، فبناه الكبوشيون على قبو اعطاهم اياه الامير حيدر الشهابي حاكم لبنان ١٧١٣ ، والقبو كان من آثار سراي الامراء السابقين .

٩) دير عبيه أسسه المرسلون الكبوشيون في اواخر الجيل السابع عشر . وقد ورد

نصف ساعة في هذا الدير الاخير يوجد توتيا واصداف كثيرة محجّرة.

ولا سبيل الى اغفال ذكر دير مار يوحنا الشوير[10] الذي اكتسب شهرة في البلاد بايوائه رجلًا فريدًا يُدعى الشماس عبدالله زاخر[11] الحلبي الرومي. هو صائغ، نقاش، يصبّ حروفاً للمطبعة، ويجلّد الكتب، ضليع في اللغة العربية. ألّف كتباً عديدة قيّمة لها قدرها في البلاد، وبينها كتاب ضد الروم الارثوذكس. وجمع عدداً كبيراً من الكتب الروحية التي ترجمها الاب بطرس فروماج اليسوعي[12]. وقد تعلم كل هذه الصناعات من تلقاء ذاته، ما عدا الصياغة فانه تعلمها في حلب.

ويوجد بين عجلتون وجبل الماقورة الذي يبعد عن عينطورا ست ساعات

ذكره في سنة ١٦٨٦، ولا ريب انه بُني قبل ذلك، وقد قتل فيه سنة ١٨٦٥ مرسل كبوشي افرنسي وشابه، وتلميذه، وقس ماروني، وخرب الدير واحرق.

١٠) دير مار يوحنا الصايغ، قرب الحشارة، ويعرف بدير مار يوحنا الشوير. وبه عُرف الرهبان الباسيليون الفانوتيون الروم الكاثوليك الذين دعوا ايضاً حنّاوية. اما الدير فانه كان موجوداً في اواخر القرن السابع عشر يسكنه كاهن من بيت صوايا. ولما حدث انشقاق بين رهبان البلمند، انتقل منه الى دير مار يوحنا الشوير الراهبان جرابيوس وسليمان في سنة ١٦٩٧. وقد بنى الكنيسة الحوري نقولا الصائغ الشهير في الزهد، وفي عالم الادب.

١١) عبدالله زاخر ولد في حلب سنة ١٦٨٠. ثم اهتدى الى الكثلكة بارشاد المرسلين اليسوعيين، فاضطهده الروم الارثوذكس اضطهاداً اكرهه على الهرب من وطنه الى لبنان في سنة ١٧٢٣، فسكن دير مار يوحنا الشوير حيث اعتنى بالمطبعة ونشر فيها كتباً مفيدة للدين والعلم. وكان رهبان مار يوحنا يقيمون طقوسهم باللغة السريانية، وظلوا مدة على هذا النمط. وقد قدمت من ثلاث سنوات الى صاحب السيادة المطران ميشال دريني رئيس المعهد الحبري الشرقي في رومية نسخة من كتاب هذه الطقوس استعملت فيه اللغة السريانية بدل اليونانية. ولعبدالله زاخر كتاب ضد الروم الارثوذكس احدث ضجة عظيمة عنوانه: «التفنيد للمجمع العنيد.»

١٢) مرسل يسوعي اشتهر بغيرته ونشاطه في التاليف والترجمة. ولد سنة ١٦٧٧ في ١٢ ايار، ودخل الرهبانية في ت ٢ ١٦٩٣. تولى رئاسة دير عينطورا، ثم الرسالة في سورية، ونقله رؤساؤه الى جميع اديار هذه الرسالة فكان عاملًا في كرم الرب بكل اجتهاد وغيرة. وقد سمي لاهوتياً في المجمع اللبناني، ولفظ في افتتاحه خطاباً مهمّاً. وله رسالة مطولة في هذا المجمع سننشرها ان شاء الله. ولم اتوصّل الى معرفة تاريخ وفاته.

كثير من معادن النحاس المخلوطة بكمية قليلة من الفضة ، ومعادن حديد . وهناك جبل صغير يستخرج منه حجر الحتر .

هذه الجبال يقطنها الدروز والموارنة . واني لا اتحرى البحث في اصل الاولين بل اقول انهم اتراك مع الاتراك ، ومسيحيون مع المسيحيين[١٢] . وان الاديان كلها سواء لديهم[١٤] . ويؤكدون ان النساء وحدهن واقفات على اسرار الديانة التي يعتقدون بها[١٥] .

اما الموارنة فجميعهم كاثوليكيون واغلبهم بالاسم فقط . وبالعموم تراهم ميالين الى جميع الرذائل والفواحش ، وفوق ذلك انهم يكفرون بالنعمة ، فهما عملت مع الماروني من المعروف لا تستطيع ان تجعله ممنوناً لك . كل ديانتهم قائمة بالانقطاعات وبعض الاعمال الخارجية[١٦] .

لكل ضيعة كاهن يخدمها ، لكنه ملتزم بان يحرث الارض لمعاشه . وهذا مما يشغله عن الاهتمام بتدريس الاحداث التعليم المسيحي ويوعظ رعيته ، على

---

١٣) يشير المفتش الى ما جاء في كتب الدروز : « اي امة تغلبت فاتبعوها واحفظوني في قلوبكم »

١٤) هذا القول غير مطابق للواقع ، فان الدوز متعلقون بديانتهم الباطنية شديد التعلق واهم ليستعضون جدًا ممن يشرك الدرزية ليعتنق ديانة اخرى . ومن المأثور عندهم ان عددهم لا يزيد ولا ينقص ، فلذلك اذا جحد احدهم الدرزية اعتبروا انه لا يزال درزيًا في قلبه .

١٥) لا نعلم من اي مورد استقى هذه المعلومات الكاذبة . نعم انه يوجد نساء « جويدات » في الدرزية ، ولكن اسرار الديانة يعلمها مشايخ العقل اولًا وهم المحافظون عليها . والدروز طبقات ثلاث « الجويدون » وهم الطبقة الاولى والعليا ، ثم « العقال » ، ثم « الجهال » ، ولا يعلم سرّ الديانة لهؤلاء لانهم ليسوا « خاشرين » ولا يستحقون ان يعلموا جوهر الديانة .

١٦) ليس الموارنة كاثوليكيين بالاسم فقط ، ولا يكتفون بالاعمال الخارجية وبعض العبادات . واعتصامهم بالجبال الجرداء دليل ساطع على تمسكهم الفعلي بديانتهم . وما كان اسهل جحودهم دينهم ليرتاحوا بحبوحة العيش ! وتكتفي بشهادة الذين يعرفون الموارنة من المرسلين الواقفين على حقيقة الديانة اكثر من المفتش ده غرانجه . فان اليسوعيين مثل الآباء فايوس برونو ، ودنديني ، وبوازو ، وسوام والفرنسيسكان ، والكبوشيين ، ورهبان عديدون ، يؤكدون انهم لم يجدوا في الغرب قط امة اشد تعلقاً بالجبر الاعظم من الموارنة . وبهذا رد كاف على اختلاقات المفتش المذكور .

انه يوجد عدد كبير من الكهنة الوطنيين ، واساقفة تلاميذ رومية ، ممتازو الصفات يبذلون كل ما يوسعهم ليعلموا الشعب ويرجعوه عن نقائصه [١٧] .

الماروني الذي يعتم بعمامة حريرية سوداء او حمراء ، ويلبس فروًا ، ويحمل خنجرًا ، يكون سيدًا عظيماً وقديرًا ، والامراء في كسروان يضاهون عدًا نظراءهم في المانية ، لكنهم امراء فقراء غير مهذبين ومتكبرون الى درجة لا تطاق[١٨] . اخصّ مواردهم الحرير والخمر وبعض الثمار . اما القمح فيحصدون منه ما يلزمهم لمعيشتهم . ويوجيز العبارة يمكن القول ان كسروان يعطي حريرًا جيدًا ، وخمرًا جيدة ، وانساناً اردياء .

مرجع كسروان باشوية صيدا ، وحاكمه امير درزي من سلالة صلاح الدين ، من جهة النساء ، مقامه في دير القمر التي تبعد سبع ساعات عن صيدا وساعتين عن بيروت . وهذا الامير يلتزم خراج البلاد بمبلغ معلوم يدفع نصفه نقدًا والنصف الآخر عيناً [١٩] .

١٧) لا شك ان الكهنة كانوا يضطرون لخزانة الارض للقيام بما يلزم لمعيشتهم وعيشة عائلاتهم ، لان اغلبهم متزوج . فلا الرعية الفقيرة يمكنها ان تقدم له معاشه ، ولا له موارد من الخارج تعينه على ذلك . اما سذاجة الكهنة فقل ما شئت فيها ، لان البلاد محرومة من المدارس ، والمواصلات مع رومية والغرب لم تكن امرًا سهلًا ولم يكن في البلاد مطابع تساعد على نشر الكتب باثمان رخيصة .

ولذا قد ان الاحبار الاعاظم في جنب الطائفة عملًا عظيماً بانشائهم في رومية مدرسة لتثقيف الاكليريكيين فيها . وتلاميذ هذه المدرسة هم الذين يبذلون ما بوسعهم لتعليم الشعب وتهذيبه التهذيب الراقي . وكذلك فضل السيد البطريرك الحالي مار الياس الحويك عظيم جدًا بارجاعه المدرسة المارونية الحبرية . ولا يمكن ان ننسى الذين اهتموا ويهتمون بالمدارس الاكليريكية ، من وطنيين واجانب ، وقد وقفوا عليها الاوقاف وخصصوا لها المداخيل سواء كانت هذه المدارس في الخارج او في البلاد ذاتها .

١٨) ان اللبس المحكي عنه يُنعم به من قبل مثلي السلطنة العثمانية على الذين يريدون مكافئتهم او تنصيبهم ولاة او تشريفهم برتبة . وبالطبع لا يستطيع الفلاح لبس هذه الاثواب الدالة على رتبة الشيخ او الامير لانه لم ينعم عليه بها ، وليس له مورد يسدّ منه ما تقتضيه الرتبة من النفقات . اما كونهم « غير مهذبين ومتكبرين الى درجة لا تطاق » فانا لا نسلم به على اطلاقه ، لانه لو طالع تقارير المرسلين ورسائلهم لرأى فيها ما يخالف قوله بتاتًا . وقد ذكرنا بعض هذه الشهادات في كتابنا « صديقة وحامية »

١٩) ومن موارد كسروان القمح والحطب . والفلاح لا يزرع الا ما يلزمه خوفًا من

ويطلق عليه الباب العالي لسم سنجق[٢٠] وهو الامير الوحيد في سورية على ما اظن الذي يُرسل اليه باشا صيدا الخلعة بواسطة القاضي او احد الاغوات ، الذي يأخذ علماً بتسليمه الخلعة الى الامير . اما سائر الزعماء والامراء فيلتزمون ان يقصدوا الى صيدا ويمثلوا امام الباشا ليقبلوا الخلعة منه[٢١] .

ويخضع لهذا الامير خمسون او ستون شيخاً موارنة ودروز . واهم هؤلاء المشايخ الموارنة اولاد ابي نوفل الخازن[٢٢] الذين يلقبون ذواتهم امراء ويعرفهم اهل البلاد بهذا الاسم . وهم اخوة اربعة يؤلف من ذريتهم عائلة وافرة العدد : الاول يقيم في عجلتون وله عم أُقيم بطريركاً على الموارنة منذ اربع سنوات[٢٣] لدواعٍ سياسية . والثاني يدعى الشيخ نوفل الخازن[٢٤] . هذا شرفه لويس الرابع عشر بقنصلية بيروت واهدى اليه سيفاً . وله اخ يقيم معه اسمه الشيخ كروان ، وقد ذهب الى فرنسة سنة ١٧٢٨ ، حيث شمله ارباب البلاط الملكي بعلامات الصداقة . وكلا الشيخين مقيم في درعون .

الباعث من قبل الحكومة ، التي تفرض عليه الضرائب الباهظة متى رأت حالته المادية قد تحسنت . ولا نعرف من عاشر الفتش في كروان حتى يحق له القول ان كروان «يعطي اناساً اردياً» . اما قوله عن مرجع كروان فكان صحيحاً في ايامه . واما انتساب الشهابيين ، وهم مسلمون يحكمون بعض جبل لبنان ، فلم تَرَ له اثراً في التاريخ لان الشهابيين ينتسبون الى بني قريش ، وقد قلّد صلاح الدين الامير عاد الشهابي ولاية وادي التيم ليس الّا

٢٠) سنجق اسم يطلق على المنطقة الادارية التي يسمح لها برفع سنجق ، وهو اقل من الولاية .

٢١) قد ورد ذكر ذلك في تواريخ الشهابيين . وطريقة التزام الالوية ظلت متبعة الى امد غير بعيد ، اي الى الزمن الذي تغيّر فيه شكل الحكم في لبنان بعد الامير بشير عمر الشهابي .

٢٢) الشيخ نادر الخازن ، المعروف بأبي نوفل ، نال شهرة بعيدة بعمل الخير والوقفيات ومساعدة المرسلين ورجال الدين ، وقد افاض في مدحه المرسلون اليسوعيون والقنصل استل « انظر صديقة وعمامة ص ٢٦٣ وما بعدها . »

٢٣) هو البطريرك يوسف ضرغام الخازن المشهور بشجاعته . فانه هو الذي تولى قيادة اربعة فارس قصد جم الى جبة بشري ليثأر للبطريرك الدرعي الذي كان قد اهانه الشيخ عيسى حاده . وفي ايام هذا البطريرك عقد المجمع اللبناني .

٢٤) انظر « صديقة وعمامة ص ٢٩٦ الخ . » تبين الشيخ نوفل قنصلا ببراعة تاريخها ، تموز ١٧٠٨ ومات سنة ١٧٥٣ .

اما الرابع فاسمه الشيخ موسى الخازن اقامته في زوق مكايل الذي يبعد عن البحر نحو ساعة . فهذا الشيخ يضيف في داره رجال الطوائف ايًا من كانوا ويسهّل لهم الاقامة (في كسروان)

ولهؤلاء المشايخ الاربعة صَولة ويمكنهم ان يحشدوا ثلاثة آلاف رجل ، ومتى اتحدوا وامير الدروز استطاعوا ان يقاوموا باشا صيدا [٢٥] .

ثم انتقل ده غرانجه الى وصف شمالي لبنان ، قال :

في اليوم التالي زيارتي لباشا طرابلس برحت تلك المدينة قاصداً دير مار سركيس [٢٦] . الذي هو دير الكرملتان المشيد في جبال لبنان على مسافه ثماني ساعات من طرابلس . والقسم الاكبر من هذا الدير منقور في الصخر . والرهبان يجدون فيه كل اسباب الراحة . ويقيم فيه وكيل وراهبان يستقبلون الاجانب بكل رحابة صدر.

وقد ذهبت الى الارز مع الآباء الكرمليين ، فاذا هو على بعد ساعة من ديرهم . والارز عبارة عن ٤٠٠ الى ٥٠٠ شجرة [٢٧] بينها بعض شجر السنديان الاخضر وبعض ارزات اضخم من الأُخر اربع مرات . وهذا كل ما تمتاز به. شهرتها متأتية عن الرواية القائلة ان روح القدس [٢٨] قد غرسها . وقد وُضعت بعض الحجارة امام الاشجار التي تفوق غيرها ضخامة وجعلت مذابح يقيم عليها القداس الرهبان الموارنة والكرمليون في كل سنة يوم ٥ آب. [٢٩] وفي قعر وادي قاديشا ثلاثة اديرة للموارنة يبعد الواحد عن الآخر ساعة واحدة . اول هذه الاديرة شيد على اسم القديس انطونيوس [٣٠] والثاني يطلق عليه اسم

٢٥) ان قوة اللبنانيين كانت ولا تزال باتحادهم ، على اختلاف طوائفهم ومذاهبهم ، في سبيل الوطن ومصلحته .

٢٦) تركه الكرملتان في ما بعد ، ولم اتوفق الى معرفة تاريخ انشائه .

٢٧) ترى في حواشي النبذة التالية ، التي ستقرأها في هذا العدد ، (ص ٥٩١ ، حاشية ١٥) الاختلاف بين السيّاح على عدد اشجار الارز .

٢٨) هذا من الاقوال التي لا اساس لها في لبنان . انما يقال عن الارز « انه ارز الربّ »

٢٩) لم يذكر غير ده غرانجه كثرة المذابح المقامة جذا الشكل . والقداس يقام بنوع حافل حتى يومنا هذا في عيد تجلي السيد المسيح ، المعروف بعيد الربّ ، الواقع في ٦ آب .

٣٠) دير مار انطونيوس قزحيا هو دير قديم جدًا ، ورد ذكره في برآة البابا

قنوبين [٣١] وقد حفر قسم منه في الصخر . وجدت فيه بطريرك الموارنة ، ومعه خمسة او ستة رهبان ، يدير بمساعدتهم شؤون الديانة لانه قليل المعرفة بالقراءة والكتابة . وقد استقبلني الجميع بكل حفاوة حسب عادات البلاد وشرّفني بدعوته لي الى مائدته التي تجلت فيها الاماتة اكثر منها في كل وقت آخر ، فسقينا خمراً جيداً ، شربناه لعدم وجود غيره [٣٢] . وشرب البطريرك نخب الملك امامي ولم ينسَ سعادتكم ، لان عادة الموارنة متى استقبلوا افرنسيًا ان يشربوا نخب الملك والوزير . ثم بعد محادثة خرساء دامت ساعة ، ودعت ذا البطاة الشرقي الذي زوّدني بركات وافرة . الدير الثالث هو دير القديس ايليا . كان قبلاً يخص الكرمليين وقد تخلوا عنه للموارنة منذ ثلاثين سنة تقريباً ، لكي يقيموا في الدير الذي يقطنونه الآن حيث الهواء انقى من هواء الوادي [٣٣] .

مدخول دير قنوبين السنوي ٢٥ الف ليرة (فرنك) يدفع منها البطريرك الف غرش لشيخ الحمادية ، ومثلها لباشا طرابلس ، وما بقي ينفق لاعاشة الرهبان في الاديار الثلاثة ، ولدفع البلص الذي يسببه لهم الروم الارثوذكس من وقت الى آخر . يقيم في جبل لبنان (لبنان الشمالي) روم كاثوليك وموارنة وحمادية . النصارى فيه مظلومون اكثر منهم في كسروان ، لانهم ما خلا الضريبة التي تدفعها كل قرية للحمادية ، يكرهون على تأدية رسوم فاحشة لوالي طرابلس . وجبل لبنان هذا يحكمه شيخ من الحمادية يلتزم ماله من باشا طرابلس ، لقاء مبلغ معلوم من الدراهم وكمية من الحرير .

الحمادية هم من اتباع علي عدو الاتراك [٣٤] الالدّ ، واشد قطاع الطرق مراساً ، فانهم لا يكتفون بسلب المارة اشياءهم بل يعدمونهم الحياة .

اينوشنسيوس الثالث سنة ١٢١٥ ، بل قبل ذلك اي سنة ١١٥٤ حيث يُذكر في كتاب انجيل قدم ان البطريرك يوحنا اللحفدي ارسل في ذلك العهد الراهب اشيا من دير قزحيا الى دير اكوزبند في قبرس .

٣١) دير سيدة قنوبين بناه الراهب ثاودوسيوس في اوائل الحياة النسكية في لبنان . ثم جعل كرسيًا للبطريرك الماروني . وقد خلط المفتش بين المطارنة والرهبان لان المطارنة يلبسون الاسكيم كالرهبان .

٣٢) لا شك ان ده غرانجه يحب المزح .

٣٣) دير مار اليشع فوق بشري .

٣٤) يريد المسلمين لان هؤلاء الكتبة الافرنج يطلقون اسم الاتراك على المسلمين عموماً دون فرق . ولنا على ما يقوله عن الحمادية في ذلك الوقت شواهد كثيرة لا لزوم لسردها .